الـشـيـعـة

اختلفت وجهات النظر حول توقيت ظهور " الشيعة " فمن قائل إنها ظهرت بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة ، ومن قائل إنها ظهرت مع الإمام جعفر الصادق ، ومن يذهب إلى غير ذلك .

وفيما يبدو أن فكرة التشيع لعلي ابن أبي طالب و أولاده لم تنشأ فجأة أو مرة واحدة ، كما أنها لم تكن على هذه الصورة التي وصلتنا . بل إنها مرت بمراحل عديدة مختلفة ، حتى وصلت إلى شكلها الحالي . وما نقوله عن الفكرة وتطورها نستطيع أيضاً قوله عن " الشيعة " كحزب سياسي ، و " الشيعة " كفرقة دينية .

ومن نافلة القول أن الشيعة - فكرةً وحزباً وفرقة- كانت وليدة ظروف اجتماعية معينة .

فإذا ما رجعنا إلى فترة ما بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة (عام 11 هـ) سنجد خلافاً قد نشب حول خلافة الرسول ، وبالتحديد حول من هو أولى بخلافة الرسول ﷺ .

في بادئ الأمر ظهرت المنافسة حول هذا المنصب بين المهاجرين وبين الأنصار ، ويجتمع فريق من الأنصار بزعامة سعد بن عبادة الخزرجي ، الذي رأى في نفسه أهلية زعامة المسلمين ، فرشح نفسه بالفعل لمنصب الخلافة ، وكذلك يجتمع فريق المهاجرين بزعامة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ...

ثم يُعقد الاجتماع الشهير في سقيفة بني ساعدة بالمدينة المنورة . ويتقدم الأنصار بحجتهم التي بنوا عليها أحقيتهم في الخلافة ، وهي تتلخص في دورهم التاريخي المعروف ، من تأييدهم للنبي ، إلى استقبالهم له ولأصحابه المهاجرين من أهل مكة ، حتى دعمهم للدين الجديد .

أما المهاجرون فقاموا يذودون عن حقهم في الخلافة ، وعلى وجه الدقة حق " قريش " وأولويتها ، متذرعين في ذلك بصلة القرابة بين قريش وبين النبي ، فنرى عمر بن الخطاب يدفع الأنصار بهذه الحجة ، حين يقول لهم : " ... لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ... " .

ويُتبع عمر قوله هذا بعبارة أوضح : " ... ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا مَن كانت النبوة فيهم وأولوا الأمر منهم ... " .

ثم يحسم الأمر : " ... مَن ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا جدل بباطل ، أو متجانف لإثم ، أو متورط في هلكة ، ... " .

وينتهي اجتماع السقيفة إلى النتيجة المعروفة . فيؤول الأمر إلى أبي بكر الصديق ... ويرفض سعد بن عبادة المبايعة .

وفيما يبدو أن عليّاً بن أبي طالب كان يتوقع أن تؤول الخلافة إليه وهو ما نقرأه في رواية جلال الدين السيوطي عن الحسن بن علي ، فيقول :

" لما احتضر قال لأخيه : إن أباك استشرف لهذا الأمر ، فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ، ثم استشرف لها وصرفت عنه إلى عمر ، ثم لم يشك في وقت الشورى أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان ... " .

وهو ما نلمسه أيضاً في رواية الطبري عند البيعة لأبي بكر الصديق ، الذي قال : " فقال عمر لأبي بكر ابسط يدك نبايعك ، فبسط يده فبايعه المهاجرون والأنصار ، واتفق الناس عليه إلا علي بن أبي طالب وسائر بني هاشم ، فإنهم امتنعوا من البيعة بيده ، ثم لما رأى علي رضي الله عنه انصراف وجوه الناس عنه بايع هو وبنو هاشم جميعهم " .

ويتوفى أبو بكرالصديق ويؤول الأمر من بعده لعمر بن الخطاب ... وتمر فترة حكم عمر هادئة . وعندما يشعر عمر بن الخطاب بدنو أجله يرشح ستة من الرجال لمنصب الخلافة ، من بينهم علي بن أبي طالب .

ويتنازل أربعة من الستة لينحصر الأمر بين علي وعثمان بن عفان ، الذي تؤول إليه خلافة الرسول وإمارة المسلمين ، وفي عهد عثمان تتطور الأحداث وتتلاحق بسرعة ، لتتفجر الأوضاع ، وينتهي الأمر بمقتل الخليفة الثالث على أيدي الثائرين عليه . ويُقبل الثائرون على علي بن أبي طالب ويعقدون له البيعة .

ويتقدم أحد زعماء الثائرين مشيراً إلى علي ، قائلاً :

" أيها الناس ، هذا وصي الأوصياء ، ووارث علم الأنبياء " .

ويتولى علي حكم المسلمين ، والأمور من حوله في غاية الاضطراب ، فأهل الشام بزعامة معاوية يتربصون به ويكيدون له ، وصف آخر ينشق عليه بقيادة عائشة بنت أبي بكر والصحابيين طلحة والزبير ، فإذا ما قاتل هؤلاء وهؤلاء خرج عليه بعض أنصاره ومؤيديه ، عرفوا بالخوارج ، أثناء ذلك كانت هناك فكرة تنتشر بين أنصار علي ، دعا وروج لها رجل يُدعى عبد الله بن سبأ ، كان قد هجر ملة اليهود واعتنق الإسلام .

وكان ابن سبأ من الثائرين على الخليفة عثمان بن عفان ، وظل يؤلب الناس عليه مؤيداً عليَّاً بن أبي طالب ، داعياً إليه ، رافعاً شعار أن علياً هو وصي الرسول ﷺ . ويتجمع أناس حول عبد الله بن سبأ وحول دعوته ، فتنشأ فرقة السبئية .

في كتابه " الفرق بين الفرق " يقول البغدادي عن هذه الفرقة : " ... أظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه ... " .

ثم يضيف : " السبئية : أتباع عبد الله بن سبأ ، الذي غلا في علي رضي الله عنه ، وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة " .

وفي موضع آخر يقول البغدادي أيضاً :

" ... السبئية الذين سموا علياً إلهاً وشبهوه بذات الإله . ولما أحرق قوماً منهم قالوا له : الآن علمنا أنك إله ؛ لأن النار لا يعذب بها إلا الله ... " .

وعندما يتوفى علي بن أبي طالب تنتقل زعامة البيت العلوي إلى ثلاثة من أبنائه هم : الحسن والحسين ، ابناه من فاطمة بنت الرسول ﷺ ، ومحمد بن الحنفية ، ابنه من زوجة تدعى خولة ، وتنتمي إلى بني حنيفة .

فلما توفي علي ، اتجه أنصاره بالبيعة بخلافته إلى ابنه الحسن. فكرسوا بذلك لمبدأ انتقال السلطة من الأب إلى ابنه . وهكذا ، صار الحسن خليفة للمسلمين وإماماً لهم .

وإن كان الحسن قد تنازل عن هذا الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ، إلا إننا نستطيع أن نلمح في مقولة للحسن بن علي ما يظهر إيمانه بمبدأ زعامة آل البيت لأمر المسلمين ،

وأن خروج الامر إلى غيرهم ، هو حالة استثنائية مؤقتة . فقد قام يخطب في الناس بعد تنازله عن الخلافة لمعاوية :

" ... أما بعد أيها الناس ، فإن الله قد هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دول ، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء : 111] .

وبالرغم من ذلك لم يرضَ أنصار آل البيت أن يخرج أمر المسلمين من بيت النبي ﷺ ، فيروي ابن كثير عن خروج الحسن مع أهله من العراق قاصداً المدينة أنه : " كلما مر بحي من شيعتهم يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية " ، وعندما يتوفى الحسن بن علي بن أبي طالب يقوم أخوه الحسين بالأمر من بعده .

ومما يُروى عن الحسين أنه كان غير راضٍ بتنازل أخيه الحسن عن الخلافة .

وفيما بعد ذلك رفض هو نفسه البيعة ليزيد بن معاوية ، وفيما يبدو أن الأمل قد عاود أهل العراق في استرداد السلطة من مغتصبيها ، معاوية وبنيه . فراسلوا الحسين ودعوه إليهم ليخرجوا معه كي يعيدوا الحق إلى نصابه ، وتحمس الحسين ، ولكن أنصاره في العراق خذلوه ، ويقتل الحسين في كربلاء .

وهنا تتوهج فكرة الشيعة بقتل الحسين على هذا النحو الاستشهادي العنيف ؛ ليزداد تعاطف الناس مع آل البيت ، وهم قد رأوا بشاعة ما حدث لهم ، ويشعر أهل العراق بالذنب ، ويعتبرون أنفسهم السبب فيما جرى على آل البيت ، وهكذا اعتبروا أنفسهم أيضاً مسئولين عن الثأر والانتقام وإعادة السلطان المغتصب .

ومن أوائل الفرق التي تشيعت لعلي وبنيه ، كانت فرقة " التوابين " ، وقد ظهرت بالبصرة بعد مقتل الحسين ، فقد رأى جماعة من الناس أنهم خانوا الحسين حين دعوه إليهم ثم تخلوا عنه ، فكان ذلك السبب في هزيمته وقتله .

وهكذا جمع الندم والأسف قوماً من أهل العراق ، دعوا إلى الثأر للحسين . ولما لبى البعض ندائهم تسلحوا وتأهبوا لقتال الأمويين انتقاماً للحسين . ولكن ... حين نشب القتال انهزمت جماعة التوابين ، وحقق جيش الأمويين النصر عليهم ودحرهم .

علي زين العابدين

كان علي زين العابدين بن الحسين واحداً من قلائل نجوا من مذبحة كربلاء .

وقد انتقلت إليه زعامة البيت العلوي وإمامة الشيعة بعد وفاة أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب . وهو في نظر الشيعة رابع الأئمة بعد أبيه الحسين وعمه الحسن وجده علي .

ومن المشهور عن زين العابدين – الذي لقب بالسَّجاد – أنه آثر الدين على الدنيا ، فلم يشارك في العمل السياسي وتفرغ للعبادة ، ولذلك عُرف بلقب زين العابدين .

وبالرغم من ذلك ، اغتاله الأمويون عام 95 هـ .

محمد بن علي ... الإمام الخامس

ظل زين العابدين إماماً لمدة 35 عاماً ، أي منذ موت أبيه الإمام الحسين عام 61 هـ ، وقد عاش زين العابدين 60 عاماً . فتبعه في الإمامة ابنه محمد بن علي ، الذي عايش أيضاً استشهاد الحسين في كربلاء وكان عمره 4 سنوات حينذاك . وبعد 20 عاماً من قيادته لشيعة علي ، قتل هذا الإمام أيضاً بالسم مرة أخرى بتدبير من بني أمية .

وقد شهدت شيعة علي للإمام الخامس – كما فعلت أيضاً مع الإمام الرابع – بأنه أكثر من عدد المؤمنين الحقيقيين .

وعندما قُتل محمد بن علي كان ابنه جعفر بن محمد في الثلاثين من عمره ، وقد تلقب بمحمد الباقر ، لتبقره في العلم .

وكان الإمام محمد الباقر يبحث شتى العلوم ويعرف الغيب ، وتنسب له إحدى وثلاثين معجزة منها : مسح بيده على عيني رجل فعمي ، ثم أعاد له بصره .

وقد ظهر رجل طموح ، لعب دوراً تاريخياً شهيراً ، هو المختار بن أبي عبيد الله الثـقـفي ، مطالباً بالثأر من قتلة الحسين ، داعياً إلى آل البيت .

ويلتفت المختار إلى ورثة أهل البيت كي يستنفرهم ، فاتجه – بطبيعة الحال – إلى وريث الحسين ، ابنه علي زين العابدين .

ولكن علي زين العابدين ، الذي كان قد آثر العبادة والتنسك ، رفض تلبية دعوة المختار . فيتجه المختار إلى رمز آخر من رموز آل البيت ، وهو محمد بن الحنفية بن علي ابن أبي طالب ، ولما ناشد المختار محمد في الأمر ، كان رد محمد :

" إني لأحب أن ينصرنا الله ، ويهلك مَن سفك دماءنا ، ولست آمراً بحرب ولا إراقة دم " .

وقد كانت هذه العبارة هي الأساس الذي استند إليه المختار في دعوته ، فقد اعتبرها تفويضاً من زعيم البيت العلوي بالقتال في سبيله . وبالفعل ينجح المختار في الانتقام للحسين والأخذ بثأره ، فلاحق كل من شارك في قتال الحسين وقتله ، واستطاع عقابهم وإذا كان المختار قد حقق نجاحاً على المستوى السياسي ، إلا إنه حقق نجاحاً كبيراً أيضاً على المستوى الديني والمذهبي ، فإليه ترجع نشأة فرقة الكيسانية ، التي لعبت دوراً كبيراً في التاريخ الإسلامي .

وعن هذه الفرقة يقول البغدادي :

" هؤلاء أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي ، الذي قام بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقتل أكثر الذين قتلوا حسيناً بكربلاء ، وكان المختار يقال له كيسان " .

وكان من أهم المبادئ التي دعا إليها المختار هو أن : " الدين طاعة رجل " .

وقد أدى هذا المبدأ إلى : " تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك على رجال " .

وعلى هذا المبدأ سار أتباع فرقة الكيسانية ، فآمنوا :

" بانفراد الإمام بتأويل الشريعة ، وأن طاعته من جوهر الدين " .

وقد انقسمت فرقة الكيسانية إلى مجموعتين :

الأولى : ترفض فكرة وفاة محمد بن الحنفية ، وتزعم بأنه " المهدي " وأنه لم يمت ، وتؤمن برجعته ، فهو مازال على قيد الحياة مقيماً في جبل رضوى ، وعنده عين من الماء

وعين من العسل ، يأخذ منهما رزقه ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر ، يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه ، وهو المهدي المنتظر " .

أما المجموعة الثانية : فقد أقرت بوفاة محمد بن الحنفية . وذهب فريق من هذه المجموعة إلى أن الإمامة ذهبت إلى علي زين العبادين بعد وفاة عمه محمد ، بينما آمن فريق آخر بإمامة ابن محمد بن الحنفية ، وهو : " أبو هاشم عبد الله " بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ، وهو الذي سلم قيادة الفرقة وإمامتها إلى بني العباس ، فكان سبباً في نشأة الدولة العباسية .

وهناك رأي آخر يقول أن اسم الفرقة يرجع إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب ، وهو الذي كان يدل المختار على قتلة الحسين .

وبالإضافة إلى فرقة الكيسانية ، التي آمنت بإمامة محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ، ظهرت فرقة أخرى من " شيعة علي " تؤمن بانتقال الإمامة إلى علي زين العابدين ابن الشهيد الحسين ، وحفيد علي بن أبي طالب وفاطمة ابنة الرسول ﷺ ، وهي الفرقة الشيعية التي عرفت باسم " الإمامية الاثنا عشر " ، وهي فرقة تؤمن بإمامة علي بن أبي طالب ، وتعتقد بانتقال الإمامة (الخلافة) إلى علي مباشرة بعد وفاة الرسول ﷺ ، كما ترى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان اغتصاباً لحق علي .

وعلماء " الشيعة الإمامية " يروون في شأن تأكيد أحقية علي بالخلافة وبولايته على المسلمين أحاديث وردت عن النبي ، من أشهرها حديث اشتهر بحديث " غدير خم " ويقولون إن النبي قد رواه قبيل وفاته .

فيقولون إن الله قد أنزل على رسوله ﷺ آية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة : 97] .

فكان أن جمع الرسول ﷺ الناس وأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال :

" أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : مَن كنت مولاه ، فهذا مولاه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعاد من عاداه " .

وفي رواية أخرى للحديث السابق نفسه يضاف إلى قول الرسول ﷺ " أن عمر بن الخطاب لما سمع ذلك قال : " بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم . فأنزل الله عزوجل : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة : 3] ،

وهكذا يرى الشيعة أن الله قد أمر بانتقال أمر المسلمين من الرسول إلى علي ، وطبقاً لأمر الله كان لابد أن يصير علي هو الخليفة بعد وفاة النبي ﷺ ، وهو ما لم يحدث ، بل ذهبت الخلافة إلى أبي بكر ثم عمر ثم عثمان . وبناءً على ذلك لا تؤمن الشيعة بخلافة من سبق علي . وهم لا يكتفون بإدانة الخلفاء الثلاثة لاغتصابهم الخلافة ، بل يذهب البعض إلى تكفيرهم ، فيرى أحد أئمتهم المعاصرين ، وهو آية الله الخوميني ، أن الخلفاء الراشدين الثلاثة : " كانوا طلاب دنيا ، كما كانوا شر الخلق ، فقد قبلوا الإسلام بألسنتهم فقط طمعاً في الحكم والسلطة ، لا فهم في الظاهر مسلمون ، ولكنهم في الباطن كفار وزنادقة " .

وكما آمنت الشيعة الإمامية بأحقية علي في الخلافة (الإمامة) ، آمنت بانتقال هذا الحق إلى بنيه ووراثتهم إياه من بعده ، كما أمر الله ، فاعتقدوا بإمامة الحسن فأخيه الحسين ، فلما مات انتقلت الإمامة إلى ابنه علي ، فابنه محمد فابنه جعفر ، فابنه موسى ، وهكذا حتى تصل هذه الإمامة إلى الإمام الثاني عشر .

وهكذا آمنت " الشيعة الإمامية " باثني عشر إماماً ، كان آخرهم هو " المهدي المنتـظـر " الذي اختفى ، ولكنه سيعود ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً .

وقد أولى الشيعة الإمامية مسألة " الإمامة " اهتماماً بالغاً ، حتى صار محور عقيدتهم ، وزادوا في ذلك فجعلوا الإمامة ركناً من أركان الدين ، مَن لا يؤمن بها يكون من وجهة نظرهم كافراً .

أما الإمام – عندهم – فهو مثل الرسول ، اختاره الله لتولي شئون المسلمين ، دينية ودنيوية على حدٍّ سواء . وليس للبشر في هذا الاختيار أي مشورة أو تدخل . وليس عليهم إلا إظهار الطاعة التامة للإمام ، فأمره ونهيه هما أمر الله ونهيه .

وهم يؤمنون بأن الإمام معصوم ، بل وينزه آية الله الخوميني – الزعيم المعاصر للشيعة الإمامية – الإمام عن السهو والغفلة .

والأئمة عند الشيعة الإمامية مطلعون على الغيب ، بل ويعلمون موعد موتهم .

وهم يؤمنون أن الأئمة قد أوتوا من القوة ما يجلعهم قادرين على صنع المعجزات والخوارق .

وعن مكانة الإمام وموقعها من الإسلام يقول آية الله الخوميني :

" إن العقل ذلك المبعوث المقرب من لدن الله الذي يعد بالنسبة للإنسان كعين ساهرة لا يستطيع أن يحكم بشيء ، إما أن يقول بأنه لا حاجة لوجود الله ورسوله ، أو أن يقول بأن الإمامة أمر مسلم به في الإسلام ، أمر الله به نفسه ، سواءً جاء ذلك في القرآن أو لم يجئ ... " .

ويعلق الدكتور مصطفى الشكعة على كلام الخوميني فيقول :

" وهو كلام بالغ الغرابة ، خاصة تلك المعادلة التي قالها آية الله الخميني بأنه إما أن توجد الإمامة ، وإما أنه لا حاجة إلى وجود الله ورسوله " .

ثم يضيف الشكعة : " ويفرد آية الله الخوميني في كتابه عنواناً كبيراً هذا نصه : لماذا لم يذكر الله اسم الإمام صراحة ؟ ثم يتولى بنفسه الإجابة عن السؤال على هذا النحو : " إنه كان من الخير أن ينزل الله آية تؤكد كون علي بن أبي طالب وأولاده أئمة من بعد النبي ، إذ إن ذلك كان كفيلاً بعدم ظهور أي خلاف حول هذه المسألة. وهو قول خطير ، لأن آية الله يوجه نقداً إلى المولى عزَّ وجل ، وهو ما نعيذ أي مسلم من التورط فيه ، على أن الرجل لا يلبث أن يناقض نفسه قائلاً : إلا إننا على ثقة بأن الله حتى لو فعل ذلك ، فإن الخلافات لم تكن لتزول ، بل إن أموراً مفسدة أخرى كانت ستقع حتماً . ويمضي الخميني في الحديث عن هذه الأمورالمفسدة ، معرضاً بصحابة رسول الله ﷺ ، متهماً الخلفاء الراشدين بالتزوير وتزييف القرآن الكريم فيما لو كانت نزلت فيه آيات عن الإمامة ، قائلاً : " لو كانت مسألة الإمامة قد تم تثبيتها في القرآن ، فإن أولئك الذين لا يؤمنون بالإسلام والقرآن إلا لأغراض الدنيا والرئاسة كانوا سيتخذون من القرآن وسيلة لتنفيذ أغراضهم المشبوهة ، ويحذفون تلك الآيات من صفحاته ، ويسقطون القرآن من أنظار العالمين إلى الأبد ، ويلصقون العار – وإلى الأبد – بالمسلمين وبالقرآن ، ويثبتون على القرآن ذلك العيب الذي يأخذه المسلمون على كتب اليهود والنصارى " .

وعن مقام الأئمة ومنزلتهم يقول آية الله الخوميني في كتاب الحكومة الإسلامية : " إن للإمامة مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها ذرات هذا الكون " . ثم يستطرد قائلاً : " وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل " .

هكذا غلا آية الله الخميني في تقديس الأئمة غلواً شديداً طبقاً لما قرره في السطور السابقة من كتابه (الحكومة الإسلامية) ، فقد فضلهم على جميع الملائكة وجميع الأنبياء والمرسلين بغير استثناء أو تحفظ ، غير أن ذلك الذي ذكره آية الله الخميني لا يعبر عن عقيدة خاصة به ، وإنما هو يردد ما يعتقده كثير من صفوة علماء الشيعة " .

ومن أهم الركائز التي يقوم عليها مذهب الشيعة الإمامية هو : إيمانهم بـ " الرجعة " ، أي بعودة الإمام الثاني عشر (المهدي المنتظر) ، الذي اختفى في سرداب بمدينة سامراء بالعراق عام 265 هـ .

وهم لا يؤمنون بأن الإمام الثاني عشر قد مات ، بل إنه " غاب " ، وأنه يعيش بين الناس ، وأنه سيعود يوماً ما ، ليعيد الحق إلى نصابه .

والإمامية يقسمون غيبة المهدي المنتظر إلى فترتين ، الأولى : كانت فترة اتصال الإمام بالناس عن طريق نواب له ، وقد انتهت هذه الفترة التي يطلقون عليها " الغيبة الصغرى " في عام 329 هـ .

أما الثانية : فيطلقون عليها تسمية " الغيبة الكبرى " ، وهي فترة مستمرة حتى يومنا هذا ، بل إنها قد تستمر لآلاف أخرى من السنين ، على حد قول آية الله الخوميني : " ويمكن أن تمر آلاف السنوات هكذا أيضاً ... " .

وأثناء هذه الفترة يكون من حق فقهاء الشيعة الإمامية تولي أمر الناس – جميعاً – وهذا ما يذكره آية الله الخوميني بقوله :

" وإذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل ، فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي ﷺ ، ووجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا ، ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية السياسية للناس ما كان يملكه الرسول ﷺ " .

ويؤمن الشيعة الإمامية إيماناً لا يتزعزع برجعة " المهدي المنتظر " ، حتى لو انقضى الزمان كله وبقي يوم واحد ، فإن الله سيمد في هذا اليوم حتى يظهر الإمام .

وسيسبق ظهور " المهدي " ظهور جده علي بن أبي طالب ، ويلتف حوله شيعته ، كما سيلتف أعداؤه حول الشيطان ، وتدور رحى معركة مريرة بين شيعة علي وشيعة الشيطان ، لتنتهي بانتصار الخير ، أي حزب " علي " على الشر والظلم ممثلاً في الشيطان وحزبه .

وعندما تقوم الساعة ينادي الإمام الثاني عشر الموتى من قبورهم ، فيأتيه الأخيار وعلى رأسهم جده " الحسين " ليلقوا حسن الثواب ، ويأتيه الأشرار وعلى رأسهم يزيد بن معاوية – قاتل الحسين – ليلقوا بئس العذاب .

ومن المبادئ التي تؤمن بها أيضاً فرقة الشيعة الإمامية : مبدأ " التقية " .

والتقية كما يفسرها أحد علماء الشيعة هي :

" كتمان الحق وستر الاعتقاد به ، ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم مما يعقب ضرراً في الدنيا والدين " .

وعن موقع التقية من العقيدة يقول آية الله الخوميني :

" إن كل مَن له أقل قدر من التعقل يدرك أن حكم التقية من حكم الإله المؤكدة ، فقد جاء من لا تقية له لا دين له " .

أما الدكتور موسى الموسوي فيقول :

" لقد أراد بعض علمائنا – رحمهم الله – أن يدافعوا عن التقية ، ولكن التقية التي يتحدث عنها علماء الشيعة ، وأملتها عليها بعض زعاماتها هي ليست بهذا المعنى إطلاقاً ، إنها تعني أن تقول شيئاً وتضمر شيئاً آخر ، أو تقوم بعمل عبادي أمام سائر الفرق الإسلامية وأنت لا تعتقد به ، ثم تؤديه بالصورة التي تعتقد بها في بيتك " .

ومن أهم المظاهر أو الصور (التاريخية) التي ثبت فيها " التقية " ما يروونه عن علي ابن أبي طالب ، أول الأئمة عندهم ، أنه قد مارس هذه " التقية " إبَّان حكم الخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه ، وذلك بموافقته على بيعتهم والصلاة خلفهم ، بل ومعاونتهم في الحكم .

كما تقول بعض الروايات إن الإمام " جعفر الصادق " قد أعلن موت ابنه إسماعيل " تقية " ، أي خوفاً من ملاحقة الحكام العباسيين له ، بينما كان إسماعيل على قيد الحياة .

***